# نماذج من الرقي الأخلاقي

( ٤ )

إعداد الدكتور

عبد العزيز بن عبد الله الحميدي

الأستاذ بجامعة أم القرى

والمدرس بالمسجد الحرام

نماذج من الرقيم الأخلاقي (٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

٤

نماذج من الرقيم الأخلاقي (٤)

# مواقف في التوجيه التربوي

## ( ٢ )

نماذج من الرقيم الأخلاقي (٤)

## من مواقف سلمان الفارسي رضي الله عنه

من مواقفه رضي الله عنه في العلم والفقه في الدين مارواه سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال قال: أُوخِي بين سلمان وأبي الدرداء[1]، فسكن أبو الدرداء الشام، وسكن سلمان الكوفة، وكتب أبو الدرداء إلي سلمان: سلام عليك أما بعد فإن الله

---

(١) يعني في عهد النبي ﷺ.

قد رزقني بعدك مالاً وولدًا، وأُنزلت الأرض المقدسة، فكتب إليه سلمان: سلام عليك، أما بعد فإنك كتبت إلي أن الله رزقك بعدي مالاً وولدًا وإن الخير ليس بكثرة المال والولد، ولكن الخير أن يعظم حلمك، وأن ينفعك علمك، وكتبت إلي بأنك نزلت الأرض المقدسة،وإن الأرض لا

تَعْمل لأحد[1] اعمل كأنك ترى[2]

واعدُدْ نفسك من الموتى[3].

ولايُظن بأبي الدرداء وهو العالم الرباني أنه قد انخدع بالمال والولد والإقامة في الأرض المقدسة،

---

(١) يعني فلا يغرنك كونك في الأرض المقدسة .

(٢) يعني كأنك ترى الآخرة .

(٣) سير أعلام النبلاء (١/ ٥٤٨) .

وإنما كان يتحدث بنعمة الله عليه في ذلك، ولكن لشدة حساسية سلمان من جانب الاغترار بمظاهر الحياة الدنيا، والاتكال على شرف المكان قدَّم هذه الموعظة لأبي الدرداء مع علمه بفقهه وورعه من باب التذكير، وإذا كان مثل أبي الدرداء بحاجة إلى هذه الموعظة فكيف بمن هم دونه في العلم والورع بمراحل؟!

## من مواقف عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

من ذلك ماذكره ابن الجوزي عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ياصاحب الذنب لاتأمننَّ سوء عاقبته، ولَمَا يتبع الذنبَ أعظم من الذنب إذا عملتَه:قلةُ حيائك ممن على اليمين وعلى الشمال وأنت على الذنب أعظم من الذنب الذي صنعته، وضَحِكُكَ وأنت لاتدري ما الله صانع بك أعظم من الذنب،

وفرحُك بالذنب إذا عملته أعظم من الذنب، وحزنُك على الذنب إذا فاتك أعظم من الذنب إذا ظفرت به، وخوفُك من الريح إذا حركت ستر بابك وأنت على الذنب ولايضطرب فؤادك من نظر الله إليك أعظم من الذنب إذا عملته[1].

فهذا تذكير من ابن عباس

---

(١) صفة الصفوة ١/ ٧٥٤.

رضي الله عنهما بمايجب أن يكون عليه المسلم من اليقظة والإحساس، والشعور برقابة الله عز وجل وعلمِه الدقيق بكل مايصدر من العبد حتى حديث النفس وخلجات الضمير.

## من مواقف معاذ بن جبل رضي الله عنه

من ذلك ماذكره الإمام أبو الفرح ابن الجوزي من خبر الحارث ابن عمير الطائي قال: طُعِنَ معاذ وأبو عبيدة وشرحبيل بن حسنة وأبو مالك الأشعري في يوم واحد[1]، فقال معاذ: إنه رحمة ربكم ودعوة نبيكم ﷺ وقبض الصالحين من قبلكم،

---

(١) أي أصيبوا بمرض الطاعون .

اللهم آت آل معاذ النصيب الأوفر من هذه الرحمة، فماأمسى حتى طُعِنَ ابنه عبد الرحمن بِكْرُه الذي كان يكنى به وأحب الخلق إليه،فرجع من المسجد فوجده مكروبًا فقال: يا عبد الرحمن كيف أنت ؟فقال : يا أبة ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾[ آل عمران :٦٠] فقال معاذ: وأنا إن شاء الله ستجدني من الصابرين، فأمسكه لَيْلَته ثم دفنه من الغد،فطُعِنَ معاذ فقال حين اشتد به

نزع الموت– فنُزِع نَزْعًا لم يُنزَعه أحد ، وكان كلما أفاق من غمرة فتح عينيه ثم قال: رب اخنقني خنقك، فوَعِزَّتك إنك لتعلم أن قلبي يحبك[1].

---

(١) صفة الصفوة ١/ ٥٠٠ ،وأخرجه الإمام أحمد وذكر نحوه – المسند ٥/ ٥٤٠،وذكره الحافظ الهيثمي وقال: رواه أحمد وروى الطبراني بعضه في الكبير ورجال أحمد ثقات وسنده متصل ، مجمع الزوائد ٢/ ٣١١ .

في هذا الخبر بيان علم معاذ رضي الله عنه ويقينه وثباته عند المحن، فحينما وقع طاعون عمواس في الشام عام ثمانية عشر من الهجرة ضج بعض الناس وتألموا وأصابهم حزن وخوف من ذلك المرض الذي يؤدي غالبًا إلى الموت، فقام فيهم معاذ خطيبًا يبين لهم ما جاء عن رسول الله ﷺ في ذلك، حيث بين أنه رحمة من الله تعالى يقبض فيه من شاء من عباده المؤمنين ويثيب فيه الصابرين،

المؤمنين بقضائه وقدره.

كما بين أنه دعوة رسول الله ﷺ لأمته ، ويريد بذلك قوله ﷺ «اللهم اجعل فناء أمتي قتلاً في سبيلك بالطعن والطاعون» ذكره الإمام الهيثمي وقال : رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجال أحمد ثقات [1] .

---

(١) مجمع الزوائد ٢/ ٣١٢ .

والمراد بالطعن الاستشهاد على يد الأعداء .

وفي هذا الخبر مثل من التربية الدينية العالية حيث كان عبد الرحمن ابن معاذ–وهو شاب صغير– على وعي بأمور الدين ، فحينما سأله أبوه عن حاله أجاب بما يثبِّت قلب أبيه وهو الذي يعلم حب أبيه الشديد له ،وكان جوابه من القرآن حيث تلا على أبيه قـول الله تعالى ﴿ٱلْحَقُّ مِن

رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴾[ آل عمران: ٦٠] .

إنه – وهو الصغير في سنه – لم يتضجر ولم يتألم ولم يخطر له مستقبله الدنيوي ببال ، وإنما كان الذي تبادر إلى ذهنه الإشفاق على أبيه المحبِّ له أن يعتريه شيء من الجزع عليه .

فكان الجواب المناسب من معاذ هو ماتضمنه قول الله تعالى حكاية عن إسماعيل عليه السلام ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ

ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢] ، وفي رواية الإمام أحمد أنه تلا عليه آخر هذه الآية .

وفي جواب الابن والأب مثل من العلم الراسخ واليقين الصادق ، وتوجيه للمسلمين إلى السلوك العالي

الذي ينبغي أن يتخلقوا به وأن يواجهوا به الشدائد والمصائب .

هذا وقد ذكر معاذ رضي الله عنه في تلك المناسبة حديث رسول الله ﷺ عن ذلك المرض بعينه حيث قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «سَتُهاجرون إلى الشام فَيُفتَح لكم ويكون فيكم داء كالدمَّل أو الحزَة يأخذ بمَراقِّ الرجل يَستشهدِ الله به أنفسهم ويزكي به أعمالهم»، اللهم إن كنت

تعلم أن معاذ بن جبل سمعه من رسول الله ﷺ فأعطه هو وأهل بيته الحظَّ الأوفر منه، فأصابهم الطاعون فلم يبق منهم أحد، فطُعن في إصبعه السَّبابة فكان يقول: ماسرَّني أن لي بها حُمْرَ النَّعم. أخرجه الإمام أحمد [1] .

وهكذا استجاب الله تعالى

---

(١) المسند ٥/ ٢٤١ .

دعاء معاذ فأصابه من رحمته بذلك المرض الذي يرجو به نيل الشهادة ، ولذلك فضَّل الإصابة به على نيل حُمْر النعم وهي الإبل وكانت أنفس الأموال عند العرب .

لقد خاض معاذ معارك فتح الشام ، وخاض قبلها المعارك التي دارت بين المسلمين وأعدائهم في العهد النبوي وعهد أبو بكر رضي الله عنه فلم يُرزق الشهادة، فهو في هذا

الدعاء يحرص على نيلها من طريق آخر.

إن معاذًا وأمثاله من العظماء قد قاموا بما في إمكانهم من الأعمال الصالحة ، فلم يبق إلا أن يتعرضوا للبلاء ليثبتهم الله تعالى على الرضى بقدره وقضائه، والصبر على بلائه، وليمحو به خطاياهم ، فلذلك كانوا يفرحون بإصابتهم بالأمراض، وأحيانًا يسألون الله تعالى ذلك .

ولقد استمر المرض بمعاذ حتى توفي رضي الله عنه ، جاء في إحدى الروايات أنه لما حضره الموت قال: انظروا أصبحنا ، قال: فأُتِي فقيل: لم نصبح ،حتى أُتي في بعض ذلك فقيل له : قد أصبحت ، فقال : أعوذ بالله من ليلة صباحها إلى النار، مرحبًا بالموت مرحبًا ، زائرٌ مُغيَّب جاء على فاقة ، اللهم إني قد كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك، اللهم إنك لتعلم أني

لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لكِرْي الأنهار[1] ولا لغرس الأشجار، ولكن لظمأ الهواجر، ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء بالرُّكَب عن حِلَق الذكر[2].

فهذا الموقف يكشف لنا مظهرًا

---

(١) يعني لحَفْرها واستخراج طينها [النهاية مادة كرا].

(٢) صفة الصفوة ١/ ٥٠١.

من مظاهر حب المؤمن لله عز وجل حيث لم يتضجر معاذ من غمرات الموت وهو يعلم أنها من الله تعالى .

وإذا وصل القلب إلى حقيقة المحبة لم يَعُدْ للإنسان تعلق بالدنيا لذاتها ، وإنما يرغب في البقاء فيها ليواصل تقديم الأعمال الصالحة التي ترفع من رصيد حسناته يوم القيامة ، فإذا قضى الله تعالى عليه الموت لم يفزع ولم يتضجر، وإنما يستقبل

مانزل به بشوق عارم للقاء الله جل وعلا، والتمتع بثمرات العمل الصالح الذي كان في حياته يَنْصَب ويجتهد في استثمار وقته من أجله .

وإذا كان أهل الدنيا يرغبون في البقاء فيها لكسب الجاه والشرف والتمتع بمظاهر الحياة الرفيعة،فإن معاذ بن جبل لم يرغب فيها إلا للسبق في الأعمال الصالحة من صلاة وصيام وتعلم علم وذكر نحو ذلك .

إن من أهم أسباب الفزع من الموت أن يعيش الإنسان لدنياه أكثر من آخرته ، فهو لايريد الموت لأنه يقطع عليه الفرصة في استثمار عمله الطويل ، الذي أراد به الوصول إلى مستوى رفيع في كسب الدنيا والتمتع بأمجادها .

أما الذي كان عمله الأغلب من أجل الآخرة فإنه يكون في شوق إلى حصاد زرعه وقطف ثماره، وذلك

لا يكون إلا بعد الموت ، فلذلك كان شوق معاذ إلى لقاء الله تعالى وترحيبه بالموت ، وبيان أن مايشعر بفقده من الدنيا هو تقديم المزيد من العمل الصالح الذي يرضي عنه ربه جل وعلا، ويرفع من درجاته يوم القيامة.

## من مواقف الزبير بن العوام رضي الله عنه

من ذلك ما ذكره الإمام الذهبي من خبر هشام بن عروة بن الزبير عن أبيه عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما أنه قال بعد أن ذكر شيئًا من وصية أبيه : فجعل يوصيني بِدَيْنه ويقول : يابني إن عجزْتَ عن شيء منه فاستعن بمولاي ، قال: فو الله مادريت ما عَنَى حتى قلت: يا أبت من مولاك؟قال : الله عز وجل.

وهذا مثل من أمثلة اليقين الراسخ والإيمان القوي الذي ترتب عليه صدق التوكل على الله جل وعلا ، واللجوء إليه في قضاء الحوائج وكشف الكربات.

فالمؤمن الحق يعتقد جازمًا بأن كل شيء بيد الله جل وعلا ، فإذا وقع في ضائقة وكرب فإن أول ما يتبادر إلى ذهنه تصور وجود الله تعالى وهيمنته على كل شيء ،وأن

المخلوقين الذين يُشَكِّلون طرفًا آخر في قضيته إنما هم في قبضة الباري جل وعلا وأن قلوبهم بيده سبحانه يصرفها كيف يشاء ، فيلجأ إليه قبل كل شيء ويسأله قضاء حاجته وتفريج كربته، ثم يقوم بعمل الأسباب التي خلقها الله تعالى وجعلها موصلة إلى النتائج المطلوبة ، مع الاعتقاد بأنها مجرد أسباب وأن الفاعل والمقدِّر هو الله تعالى ، وأنه

قادر على أن ينـزع من الأسباب قوة التأثير فلاتؤدي إلى نتائجها المعروفة .

ولقد قام عبد الله بن الزبير بذلك فلجأ إلى مولاه جل وعلا بصدق، كما جاء في قوله في هذه الرواية « فو الله ماوقعت في كربة من دينه إلا قلت : يامولى الزبير اقض عنه، فيقضيه» .

ثم ذكر أن الزبير قُتِل ولم يَدَعْ دينارًا ولادرهمًا ، وأن ديونه قد بلغت ألفي ألف ومئتي ألف ، وذكر أنه باع

ملك أبيه في الغابة بألف ألف وستمائة ألف وكان الزبير قد اشتراها بسبعين ومائة ألف [1] .

وهكذا قام عبد الله بفعل الأسباب بعدما لجأ إلى الله تعالى ، فبارك سبحانه بتلك الأرض حيث باعها بما يقارب عشرة أضعاف قيمة شرائها وسدد منها أكثر ديون أبيه .

---

(١) سير أعلام النبلاء ١/ ٦٥ .

إن المؤمن حينما يعيش هذه العقيدة الحية المؤثرة على مشاعره وسلوكه فإنما يمارس أنواعًا من العبادات ، حيث ينتظر الفرج من الله تعالى،وقد قال رسول الله ﷺ: «وأفضل العبادة انتظار الفرج»[1] ويقوم بدعاء الله سبحانه وقد جاء

---

(١) سنن الترمذي ، رقم ٣٥٧١ ، الدعوات (٥/ ٥٦٥).

عن رسول الله ﷺ: «الدعاء هو العبادة»[1] ويباشر فعل الأسباب التي شرعها الله جل وعلا بدافع من إيمانه ومصاحبة الرجاء بأن تكون نافعة ومؤثرة بإذن الله تعالى ، وتلك عبادة وعمل صالح .

---

(١) مسند أحمد ٤/ ٢٦٧ ، سنن الترمذي رقم ٤٠٤٩ ، سنن ابن ماجة رقم ٣٨٢٨ .

## من مواقف عمرو بن العاص رضي الله عنه

مما روي عن عمرو بن العاص رضي الله عنه من الحِكَم الجيدة قوله : لا أَمَلُّ ثوبي ماوسعني، ولا أَمَلُّ زوجتي ما أحسنت عشرتي ، ولا أَمَلُّ دابتي ماحملتني، إن المَلال من سيء الأخلاق [1] .

وقول عمرو هذا بيان لخلق

---

(١) سير أعلام النبلاء ٣/ ٥٧ .

سيء وهو الملال والسآمة من الشيء من غير مسوِّغ معقول، فما دام الشيء يقوم بمهمته المطلوبة منه من غير إخلال فمِنْ ضعف التفكير أن يُستغنى عنه وأن يُستبدل بغيره ، فإن ذلك بالنسبة لبني الإنسان كالزوجات والأصدقاء يُعدُّ من الجفاء وعدم الوفاء، وبالنسبة للممتلكات يُعدُّ من الإسراف والتبذير .

وذكر الإمام الذهبي من خبر قبيصة بن جابر قال: قد صحبت عمرو بن العاص فما رأيت رجلا أبين أو أنصع رأيا ، ولا أكرم جليسا منه ، ولا أشبه سريرة بعلانية منه [1] .

ففي هذا الخبر يصف قبيصة رحمه الله عمرو بن العاص رضي الله عنه

---

(١) سير أعلام النبلاء ٣/ ٥٧ .

بالصراحة في القول والوضوح في الرأي ، ومشابهة السريرة بالعلانية، والظاهر بالباطن، وعدم التلون والغموض .

ولاشك أن الصراحة والوضوح خلق كريم يجعل الناس يطمئنون إلى صاحبه، ويأمنون غوائله، ويفضون إليه بأسرارهم ويستشيرونه في أمورهم .

وخلق الصراحة والوضوح

يقوم على صفاء النفس وخلاصها من أوضار الغل والحسد ، فإذا خلا القلب من النوايا السيئة كان هناك تواؤم وانسجام بين الظاهر والباطن ، فأصبح مايعلنه الإنسان موافقا لما يسِرُّ به ، ويكون الفكر متجها اتجاها واحدا نحو الخير ، أما إذا كان القلب معمورا بالنوايا السيئة فإن الفكر يكون موزعًا بين تلبية نداء القلب في الاتجاه نحو الشر ، وبين

محاولة إرضاء الناس بالتظاهر بالخير وسلوك مناهجه .

ومهما أخفى الإنسان من الاتجاه نحو الأخلاق السيئة فإنها تظهر غالبا في تعبيرات وجهه وفلتات لسانه ، كما قال الشاعر :

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تُعلم

ومن الأقوال التي قيلت في

عمرو بن العاص مارُوي عن محمد ابن سلاَّم الجمحي قال: كان عمر إذا رأى الرجل يتلجلج في كلامه قال: خالق هذا وخالق عمرو بن العاص واحد[1] .

وقول عمر بن الخطاب هذا كلام بليغ يدل على مدى إعجابه بفصاحة

---

(١) سير أعلام النبلاء ٣/ ٥٧ .

عمرو بن العاص وبلاغته.

ونظرا لفصاحته ودهائه كان سفيرًا لقريش لدى القبائل والدول.

ولما أسلم سخَّر فصاحته ودهاءه لخدمة الإسلام ، فكان ذا نجاح باهر في محاورة زعماء الدول التي تقدم لفتح بلادها .

## من مواقف عتبة بن غزوان رضي الله عنه

من النماذج الجيدة في مواقف الصحابة التربوية ماأخرجه الإمام مسلم من طريق خالد بن عمير العدوي قال: خطبنا عتبة بن غزوان فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد فإن الدنيا قد آذنت بِصُرْم[1]

(١) يعني أعلنت بانقطاع .

وولَّت حذَّاء[1] ولم يبق منها إلا صُبابة[2] كصبابة الإناء يتصابُّها صاحبها، وإنكم منتقلون منها إلى دار لازوال لها، فانتقلوا بخير مابحضرتكم ، فإنه قد ذُكِر لنا أن الحجر يُلقَى من شفة جهنم، فيهوي فيها سبعين عامًا لايدرك لها قعرا،

---

(١) يعني مسرعة .

(٢) يعني بقية يسيرة .

ووالله لتملأَنّ، أفعجبتم؟ ولقد ذُكِر لنا أن مابين مصراعين من مصاريع الجنة[1] مسيرةُ أربعين سنة ، وليأتينَّ عليها يوم وهو كظيظ من الزحام، ولقد رأيتُني سابع سبعة مع رسول الله ﷺ مالنا طعام إلا ورق الشجر حتى قرحت أشداقنا، فالتقطت بردة

(١) يعني دفتي الباب .

فشققتها بيني وبين سعد بن مالك[1]
فاتّزرت بنصفها واتَّزر سعد بنصفها،
فما أصبح اليوم منا أحد إلا أصبح
أميرًا على مصر من الأمصار، وإني
أعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيما
وعند الله صغيرا ، وإنها لم تكن نبوة
قط إلا تناسخت حتى يكون آخر
عاقبتها ملكا ، فستَخْبُرون وتجرِّبون

---

(١ ) يعني سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .

الأمراء بعدنا [1] .

وهكذا ركَّز عتبة بن غزوان رضي الله عنه في خطبته هذه على التحذير من الدنيا والترغيب بالآخرة، فذكر أوَّلاً أن الدنيا قد قرب انتهاؤها، ولم يبق منها إلا القليل ، وأن الناس منتقلون منها إلى

---

(١) صحيح مسلم رقم ٢٩٦٧ .

الحياة الأخرى الخالدة ، ثم ذكر شيئًا من هول جهنم ، فذكر من سعتها وعمقها أن الحجر يُلقَى من أعلاها فيظلُّ سبعين عاما وهو يهوي حتى يصل إلى قعرها ، وأنها على سعتها العظيمة ستملأ من مستحقي العذاب يوم القيامة .

ثم ذكر أنه كما أن النار لها أهل يستحقونها بهذه الكثرة فإن الجنة لها أهل كذلك من الصالحين الطائعين

يزدحمون على أبوابها من كثرتهم، وفي هذا حث بليغ للمسلم ليسابق إلى صحبة هؤلاء في الدنيا حتى يصحبهم في الآخرة على أبواب الجنة ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾ [النساء :٦٩] وليجتنب طريق أهل الفجور والفساد حتى لايكون رفيقهم يوم

القيامة إلى النار،كما أنه حثٌّ للعاصي على التوبة النصوح وأن لاييأس من رحمة الله تعالى.

ثم لما ذكَّرهم بمصير الناس يوم القيامة ذكَر لهم ماكان فيه الصحابة رضي الله عنهم في أول الإسلام من شظف العيش وشدة الحياة، حيث إنهم لايجدون الطعام ولا اللباس ، ثم ماآل إليه أمرهم من النعمة والتمكين في الأرض .

وقد طوى عتبة ذكر السبب العظيم الذي أدى بهم إلى هذه النقلة البعيدة، ألا وهو الإيمان الصادق والتنـزه عن الحرام والشبهات، والالتزام بالعمل الصالح الذي يأتي في ذروته الجهاد في سبيل الله تعالى، وذلك لأن من يخاطبهم يعلمون ذلك ، بل يشاهدونه في حياة من يحدثهم وأمثالِه من أولئك العظماء .

ثم أشار إلى شكر نعمة الله

تعالى على ذلك الخير العظيم الذي انتقلوا إليه حيث لجأ إلى الله تعالى بهذا الدعاء الصادر من القلب المفعم بالإيمان والنفس المطمئنة باليقين «وإني أعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيما وعند الله صغيرا» .

وهكذا رأينا هذا الرجل العظيم وأمثاله من الصحابة الذين مروا بحياة الفقر والبؤس، ثم تحوَّلوا إلى حياة النعمة والرخاء فلم تتغير

حالهم، ولم تتبدل معالم حياتهم، بل ظلوا زاهدين متواضعين على الرغم من تبوُّء بعضهم مقامات الإمارة والتمكين في الأرض، فلم يسكنوا القصور العالية، ولم يلبسوا الملابس الغالية، ولم يركبوا المراكب الفاخرة، ولم يكن هناك فرق واضح في أنماط الحياة في عهد الصحابة بين الأغنياء والفقراء، ولا بين الولاة والعامة.

وإننا لو عقدنا مقارنة بين

الصحابة ومسلمي اليوم في حال التحوُّل من الشدة إلى الرخاء سنجد الفرق كبيرا، ففي مقابل مالاحظناه في حياة الصحابة نجد كثيرًا من المسلمين اليوم في هذا التحول يصابون بالترف والكبرياء ويبالغون في اقتناء الأنماط العالية من مظاهر الدنيا من مساكن ومراكب وملابس ومطاعم،محاولين بذلك تناسي واقعهم الأول، وهم بهذا الإفراط

والتوغل في مُتَع الحياة يُقفلون على أنفسهم بعض منافذ التذكر والاعتبار، حيث إن صحبة أهل المظاهر المفرطة تُطغي القلب وتنسِّيه ماكان فيه من حياة بائسة في الماضي، بينما يظل القلب شفّافا كلما تذكر الحياة الماضية، وكان في المستوى المعيشي ليس بعيدًا عن تلك الحياة، ولاعن أصحابها الذين مازالوا يعانون شيئًا من حياة الفقر والبؤس .

وهكذا رأينا أن عتبة بن غزوان رضي الله عنه قد وُفِّق تماما في خطبته هذه حيث جمع بين عناصر مؤثرة في الوعظ والتذكير، فذكر أوَّلاً قلة شأن الدنيا وسرعة انقضاء أجلها، وفي هذا تذكير للعاقل حتى لايغتر بمظاهرها المؤثرة .

ثم نقل مستمعيه إلى الحياة الآخرة حيث ذكر أن للنار أهلا سيملؤونها، وأن للجنة أهلا سيزدحمون على أبوابها، فليختر

العاقل لنفسه مصيره في الآخرة .

وبعد أن وطد النفوس لاختيار الطريق الأقوم الموصل إلى سعادة الآخرة ضرب لهم مثلا مما مر عليه وعلى أصحابه في الدنيا من حياة البؤس والفاقة، ثم ماآل إليه أمرهم من حياة السعة والغنى، وماواجهوا به كلتا الحياتين بما يناسبهما، حيث واجهوا حياة الفقر بالصبر على البلاء، وواجهوا حياة الغنى بالشكر على الرخاء .

وفي هذا بلاغة عالية من عتبة رضي الله عنه حيث لم يقتصر في الدعوة إلى الحياة العالية على مجرد التذكير بالآخرة، وإنما ذكر صورة من حياتهم الواقعية، حيث ضرب المثل بما واجهوه في الدنيا من التقلب بين الضعف والفقر، والغنى والسيادة في الأرض، وماقاموا به من سلوك في مواجهة تلك الحياتين.

## من مواقف أبي ذر الغفاري رضي الله عنه

من مواعظ أبي ذر جندب بن جنادة الغفاري رضي الله عنه ماذكره ابن الجوزي عن نافع الطاحي قال: مررت بأبي ذر فقال لي : ممن أنت ؟ قلت : من أهل العراق، قال: أتعرف عبد الله بن عامر؟ قلت : نعم، قال : فإنه كان يتقرَّأُ معي[1] ويلزمني، ثم

(١) يعني يتعلم ويتفقه .

طلب الإمارة، فإذا قدمت البصرة فَتَرائَى له ، فإنه سيقول : لك حاجة؟ فقل له : أَخْلِني ، فقل له : أنا رسول أبي ذر إليك وهو يُقرئك السلام ويقول لك : إنا نأكل التمر ونشرب الماء ونعيش كما تعيش.

فلما قدمت تراءيت له فقال: ألك حاجة؟ فقلت أخْلِني أصلحك الله ، فقلت أنا رسول أبي ذر إليك، - فلما قلتها خشع لها قلبه - وهو يقرأ

عليك السلام ويقول لك: إنا نأكل من التمر ونشرب من الماء ونعيش كما تعيش، قال: فحلَّل أزراره ثم أدخل رأسه في جيبه ثم بكى حتى ملأ جيبه بالبكاء[1] .

فهذه وصية في سطر ، لكنها أبلغ من صفحات عديدة، لأنها أولاً

---

(١) صفة الصفوة ١/ ٥٩٤ .

صادرة من القلب ، ومِنْ قلب مَنْ ؟ مِنْ قلب أبي ذر الذي أنهكه الإشفاق على الأمة وهو يرى كثيرا من أفرادها يتسابقون في الدنيا ومظاهرها ، ولايعطون الآخرة من تفكيرهم إلا قليلا .

ولأنها ثانيا تلامس الوتر الحساس وتنكأ الجرح الذي يحس به المؤمن التقي، ولكن يغطي عليه مخالطة الناس الذين لايُذكِّرون بالله

إلا قليلا .

«إنا نأكل من التمر ونشرب من الماء ونعيش كما تعيش » نعم، فإذا كان المقصود هو أن يعيش الإنسان بما يقيم صلبه ثم يتفرغ لعبادة الله تعالى ، سواء في ذلك العبادات الخاصة كالصلاة والصيام، أو المتعدية كالجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وخدمة المسلمين.. إذا كان الأمر كذلك فإنه يستوي أن

يعيش الإنسان على التمر والماء أو أن يعيش على أصناف الطعام المختلفة، ويستوي أن يلبس اللباس البسيط ويسكن المسكن المتواضع أو يلبس اللباس الفاخر ويسكن القصور العالية .

وفي خشوع قلب ابن عامر لمجرد ذكر أبي ذر أمامه دليل على ما للمؤمن الصادق من وقع وأثر في قلوب المؤمنين، وإنما كان كذلك لأنه

قد حمل نفسه أوَّلاً على الاستقامة ثم قام بوعظ الناس .

ولذلك ما أن لامست وصية أبي ذر سمع ابن عامر حتى سَرَتْ في كيانه وتخلَّلت إلى سويداء قلبه فأجهش بالبكاء .

إن وجود الدعاة الصادقين الذين يوقظون مشاعر الأمة أمر ضروري، وخاصة لمن تحملوا مسؤولية في المجتمع، لأن كثرة

الانشغال بالأعمال ثم بمطالب الدنيا تُنسي الإنسان التفكر في الآخرة ومابعد الموت ، وتجعله يعيش في فلك الدنيا ومطالبها .

ومن ذلك ماذكره الحافظ ابن الجوزي من خبر سفيان الثوري رحمهما الله قال: قام أبو ذر الغفاري رضي الله عنه عند الكعبة فقال:ياأيها الناس أنا جندب الغفاري، هلموا إلى الأخ الناصح الشفيق، فاكتنفه الناس

فقال: أرأيتم لو أن أحدكم أراد سفرًا أليس يتخذ من الزاد مايصلحه ويبلغه؟ قالوا : بلى، قال: فإن سفر طريق القيامة أبعد ماتريدون فخذوا مايصلحكم، قالوا: ومايصلحنا؟ قال: حجوا حجة لعظائم الأمور، وصوموا يوما شديدًا حره لطول النشور، وصلوا ركعتين في سواد الليل لوحشة القبور، كلمة خير تقولها أو كلمة شر تسكت عنها

لوقوف يوم عظيم، تصدق بمالك لعلك تنجو من عسيرها، اجعل الدنيا مجلسين : مجلسا في طلب الحلال ومجلسا في طلب الآخرة، الثالث يضرك ولاينفعك، لاتُرِدْه ، اجعل المال درهمين: درهما تنفقه على عيالك من حله، ودرهما تقدمه لآخرتك، الثالث يضرك ولاينفعك ، لاترده.

ثم نادى بأعلى صوته : ياأيها

الناس قد قتلكم حرص لاتدركونه أبدا [1] .

فلقد كان أبو ذر الغفاري رضي الله عنه نذيرًا لأهل عصره، وذلك حينما انفتحت الدنيا على المسلمين فأصبح كثير منهم يتوسعون في النعيم وادخار الأموال، فهاله ذلك

---

(١) صفة الصفوة ١/ ٥٩١ – ٥٩٢ .

وصار يدعو إلى حياة الكمال في التعامل مع المال، وذلك بإنفاق مازاد عن الحاجة، وهذا الكمال هو الذي أرشد إليه النبي ﷺ بقوله « لو كان لي مثل أحد ذهبا مايسرني أن لايمر علي ثلاث وعندي منه شيء إلا شيء أرصده لدين» أخرجه الإمام

البخاري[1] .

ولاشك أن أبا ذر كان له ولأمثاله أثر في تحريض الناس على الإنفاق في سبيل الله تعالى والتخفيف من التوغل في الحياة المادية .

---

(١) صحيح البخاري رقم ٢٣٨٩ ، الاستقراض (٥/ ٥٥) .

## من مواقف أمير المؤمنين معاوية رضي الله عنه

قال الحافظ ابن كثير:وقال معاوية:أفضل الناس من إذا أعطي شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا غضب كظم،وإذا قدر غفر، وإذا وعد أنجز،وإذا أساء استغفر [1] .

ففي هذا الخبر جمع أمير

---

(١) البداية والنهاية ٨/ ١٤١ .

المؤمنين معاوية رضي الله عنه دررا من الحكم، وهي الشكر عند الرخاء، والصبر عند الابتلاء والتحكم في السلوك عند الغضب، والعفو عند المقدرة، والوفاء بالوعد، والاستغفار عند الإساءة .

فهذا الخبر على قصره قد جمع ستة موضوعات، كل موضوع يحتاج إلى أن يكتب عنه في صفحات، وهذا من جوامع الكلم، وهو يُعدُّ من أعلى

أنواع البلاغة، وذلك في جمع المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة، وقد اشتهر في هذا البيان عدد من الصحابة رضي الله عنهم تتلمذوا في ذلك على رسول الله ﷺ الذي أوتي جوامع الكلم .

## من مواقف أبي مسلم الخولاني رحمه الله

من الحكم الجيدة ماروي عن أبي مسلم الخولاني رحمه الله تعالى في مجال الرِّضَى التام بقضاء الله وقدره، وفي ذلك يقول:لأن يولد لي مولود يحسن الله عز وجل نباته حتى إذا استوى على شبابه وكان أعجب

مايكون إليَّ قبضه مني أحب إليَّ من أن يكون لي الدنيا ومافيها[1] .

وهذا دليل على كمال توحيد أبي مسلم عبد الله بن ثُوَب الخولاني حيث جاوز مرحلة الصبر على أقدار الله المؤلمة إلى مرحلة الرضى بقضاء الله ، فَعدَّ المصيبة بفقد ولد قد أحسن

---

(١) صفة الصفوة ٤/ ٢١٣ ، حلية ٢/ ١٢٧ .

الله نباته وكان على خير مايتمناه المؤمن شبابا وصلاحا أحبَّ إليه من الدنيا ومافيها .

## من مواقف سعيد بن العاص رحمه الله

ذكر الحافظ ابن كثير أن سعيد بن العاص قال: يابني لاتمازح الشريف فيحقد عليك، ولا الدنيء فتهون عليه، وفي رواية فيجترئ عليك [1] .

---

(١) البداية والنهاية ٨/ ٨٦ .

فهذا توجيه سديد من أبي عثمان سعيد بن العاص الأموي رحمه الله تعالى، فإن المزاح السائغ له مقدار وحدود، فالمزح مثلا مع الرجل الشريف الذي تعوَّد من الناس التقدير والاحترام إحراج له، وهو لشرفه ومنـزلته قد لايرد على المازح، لكنه ربما حقد عليه، والمزح مع الرجل الدنيء نزول في المرتبة تجعل المازح مهانا عند ذلك الرجل الدنيء وأضرابه .

## من مواقف محمد بن سيرين رحمه الله

قال الحافظ ابن كثير: ولما مات أنس بن مالك رضي الله عنه أوصى أن يغسله محمد بن سيرين-وكان محمد محبوسا- فقالوا له في ذلك، فقال: أنا محبوس، فقالوا: قد استأذنا الأمير في إخراجك، قال: إن الأمير لم يحبسني، إنما حبسني من له الحق، فأذن له

صاحب الحق فغسَّله[1].

فهذا مثل من الفقه الدقيق في أمور الدين، حيث تنبه إلى أن من له الحق في إخراجه من الحبس هو صاحب الحق الذي حُبس من أجل شكواه، وإنما يأتي هذا الفهم الدقيق من اتِّصاف المرء بالورع، وإن في

---

(١) البداية والنهاية ٩/ ٢٨٦ .

كلامه هذا لموعظة بليغة للمسلمين في فهم حقوق الناس وأدائها.

هذا وقد ذكر ابن سيرين سبب ابتلائه بالحبس بقوله: إني لأعلم الذنب الذي حُملت بسببه، إني قلت يوما لرجل: يامفلس، فذُكِر هذا لأبي سليمان الداراني فقال: قلَّتْ ذنوبهم فعرفوا من أين أُتُوا، ومثلُنا قد كثرت

ذنوبنا فلم ندْر من أين نُؤْتَى ولابأي ذنب نؤخذ[1].

فهذا إحساس دقيق من ابن سيرين بالذنوب وعواقبها، فقد قارن بين قوله لرجل يامفلس وماكان له حينما حُمل إلى الحبس بسبب عدم استطاعته وفاء دين عليه.

---

(١) البداية والنهاية ٩/ ٢٨٦ .

وقول أبي سليمان الداراني دليل على قوة خشيته من الله تعالى وإحساسه بآثار الذنوب، وهو محمول على التواضع منه لأن من يصدر منه هذا الكلام يكون الوازع الديني عنده قويا، وذلك يحميه- بإذن الله تعالى- من الوقوع في الذنوب.

## من مواقف عطاء بن أبي رباح رحمه الله

من وصايا عطاء بن أبي رباح الحكيمة ما ذكره يعلى بن عبيد قال: دخلنا على ابن سوقة فقال: يا ابن أخي، أُحدثكم بحديث لعله ينفعكم فقد نفعني: قال لنا عطاء بن أبي رباح: إن من قبلكم كانوا يَعدُّون فضول الكلام ماعدا كتاب الله أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر أو أن تنطق في معيشتك التي لابد لك

منها، أتنكرون أن عليكم حافظين كراما كاتبين، عن اليمين وعن الشمال قعيد، ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد، أما يستحي أحدكم لو نشرت صحيفته التي أملى صدر نهاره وليس فيها شيء من أمر آخرته[1].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٥/ ٨٦.

فهذا العالم الذي كان من أبرز علماء التابعين يبين ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم من السلوك القويم، حيث كانوا يحفظون ألسنتهم فلا يتكلمون إلا بالعلم المستقى من كتاب الله تعالى أو سنة رسوله ﷺ، أو أمر بمعروف ونهي عن منكر، أو مالابد منه لأمر المعيشة، وما عدا ذلك يَعدُّونه من فضول الكلام الذي لا يكتب لهم في صحائفهم بل قد

يكتب عليهم، وهذا من الفروق الواضحة التي كانت تميز مجتمع الصحابة عمن جاء بعدهم، وهذا السلوك الممتاز كان ثمرة من ثمرات الإيمان القوي والوعي الديني، حيث كانت الشعائر التعبدية تؤدي مفعولها الكامل في تهذيب السلوك.

وبعد هذه الموعظة الجليلة يذكِّر عطاء السامعين بوجود الملائكة الكاتبين ودقة إحصائهم، ومن آمن

بذلك إيمانًا صادقًا وَزَعَه إيمانه عن لغو القول وفساد العمل، وفي تذكره لصحيفته التي ترفع له كل يوم أقوى دافع له نحو العمل الصالح، وأقوى رادع له عن العمل الفاسد.

## من مواقف أبي حازم رحمه الله

من وصايا أبي حازم ماجاء في قوله: لاتعادينَّ رجلا ولاتناصبنَّه حتى تنظر إلى سريرته بينه وبين الله،فإن يكن له سريرة حسنة فإن الله لم يكن ليخذله بعداوتك،وإن كانت له سريرة رديئة فقد كفاك مساوئُه، ولو أردت أن تعمل به أكثر من

معاصي الله لم تقدر[1].

فهذا توجيه جيد لأمر مهم، وهو أن المؤمنين الصادقين في هذه الحياة ليسوا وحدهم في الميدان، بل هم مع الله تعالى بالمحبة والإخلاص والطاعة، والله جل وعلا معهم بالنصر والتأييد، فإذا هم صدقوا في

(١) سير أعلام النبلاء ٦/ ٩٨ .

حبهم لله تعالى وتنفيذ أوامره واجتناب نواهيه فإنه جل وعلا لن يخذلهم من أجل أعدائهم وأعدائه.

وكم سخَّر الله سبحانه للمؤمنين الصادقين قلوب أعدائهم فصاروا طوع أمرهم، أو كفُّوا عن أذاهم على الأقل.

ولذلك فإن العاقل الذي يدرك عواقب الأمور ينظر إلى سرائر من يريد أن يتخذ منهم موقفا عدائيا قبل

أن يفعل ذلك، فإن وجدهم صادقين مع الله تعالى فإن من الحماقة والتهور أن يبارزهم بالعداء، لأنه - والحال هذه - يكون قد بارز الله سبحانه بذلك لأنه معهم بنصره وتأييده ولن يخذلهم.

وكم من عاقل أحجم عن الإيقاع بأولياء الله تعالى خوفًا من أن يواجهوه بسلاح الدعاء وهم يناجون ربهم في الليل !

أما إذا كانت سريرة العبد مع ربه رديئة فإنه سيكون متلبسًا بالمعاصي، فهو مخذول بمعاصيه قبل أن يواجه أعداءه، ولو لم يقم أعداؤه بمواجهته فإن سلاح المعاصي فيه أمضى من سلاح أعدائه.

## من مواقف صالح المُرِّي رحمه الله

من ذلك ماذكره الحافظ ابن كثير في ترجمة صالح بن بشير المرِّي حيث قال عنه: هو أحد العباد الزهاد كان كثير البكاء وكان يعظ فيحضر مجلسه سفيان الثوري وغيره من العلماء،ويقول سفيان:هذا نذير قوم.

وقد استدعاه المهدي ليحضر عنده فجاءه راكبا على حمار، فدنا من بساط الخليفة وهو راكب فأمر الخليفة ابنيه موسى الهادي وهارون

الرشيد أن يقوما إليه لينـزلاه عن دابته، فابتدراه فأنزلاه، فأقبل صالح على نفسه فقال: لقد خبتُ وخسرت إن أنا داهنت ولم أصدع بالحق في هذا اليوم وفي هذا المقام، ثم جلس إلى المهدي فوعظه موعظة بليغة حتى أبكاه، ثم قال له: اعلم أن رسول الله ﷺ خصْمُ من خالفه من أمته، ومن كان محمد خصمه كان الله خصمه، فأعِدَّ لمخاصمة الله ومخاصمة رسوله حججًا تضمن لك بها النجاة، وإلا

فاستسلم للهلكة، واعلم أن أبطأ الصرعَى نهضةً صريعُ هوى بدعته، واعلم أن الله قاهر فوق عباده، وأن أثبت الناس قدما آخذُهم بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وكلام طويل، فبكى المهدي وأمر بكتابة ذلك الكلام في دواوينه[1].

فهذه موعظة جليلة من العابد

---

(١) البداية والنهاية ١٠/ ١٧٦ .

الزاهد صالح بن بشير المرِّي، ولقد كان جريئًا في موقفه، قويا في موعظته، حيث نقل أمير المؤمنين المهدي إلى التفكير في الآخرة، والوقوف بين يدي الله جل وعلا للحساب، وهكذا يكون العلماء الربانيون مصلحين منقذين، لا مداهنين ولامجاملين، ولقد عصم الله تعالى هذا الواعظ بتذكُّر الآخرة وحضور القلب مع الله عز وجل، فكان الذي يهيمن على فكره ويوجِّه

سلوكه هو خوفه من الله سبحانه ورجاؤه لماعنده من جزيل الثواب، فكان منه هذا الموقف العالي في الوعظ والتذكير.

نماذج من الرقيم الأخلاقي (٤)

# فهرس الموضوعات


| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |
| مواقف في التوجيه التربوي (٢) | ٥ |
| من مواقف سلمان الفارسي رضي الله عنه | ٧ |
| من مواقف عبد الله بن عباس رضي الله عنهما | ١١ |
| من مواقف معاذ بن جبل رضي الله عنه | ١٤ |
| من مواقف الزبير بن العوام رضي الله عنه | ٣٢ |
| من مواقف عمرو بن العاص رضي الله عنه | ٣٩ |
| من مواقف عتبة بن غزوان رضي الله عنه | ٤٧ |
| من مواقف أبي ذر الغفاري رضي الله عنه | ٦٣ |
| من مواقف أمير المؤمنين معاوية رضي الله عنه | ٧٦ |

| | |
|---|---|
| من مواقف أبي مسلم الخولاني رحمه الله | ٧٩ |
| من مواقف سعيد بن العاص رحمه الله | ٨٢ |
| من مواقف محمد بن سيرين رحمه الله | ٨٤ |
| من مواقف عطاء بن أبي رباح | ٨٩ |
| من مواقف أبي حازم رحمه الله | ٩٤ |
| من مواقف صالح المُرِّي رحمه الله | ٩٩ |
| فهرس الموضوعات | ١٠٥ |